

## حوار حول السعادة

## شخصيات المحاوره:

- صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي سيدة ثرية جميلة مثقفة تملك فكراً ليبرالياً وتؤمن بأن الحرية والعدالة أشياء تستحق أن يناضل الإنسان من أجلها.
- سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوائينه.
- حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.
- هيفاء: ناشطة إجتماعية.
- ريمون: رئيس تحرير مجلة تقديمية.
- روزانا: صاحبة ومديرة ثانوية خاصة.

صونيا:

أرق على أرق ومثلي يارق

رجوى يزيد وعبرة تترقرق

البارحة هاجمني الأرق، أنشب مخالبه في أحاسيسي ومشاعري وأخذ يمزق، غرز أنيابه في لحم أفكاري وهواجسي وأخذ ينهش، أفرحني ذلك الأرق، تحسست جرحه بتلذذ، النزيف الذي أحدثه جعلني أتأكد بالبراهين اليقينية أنني ما زلت على قيد الحياة، لم أتحجر كما تحجر كل شيء حولي، لم أستنقع وتفوح رائحة الموت المتعفن من بقايا كياني، أفرحني ذلك الأرق بعد أن أعمد خنجره في تلافيف دماغي وقال لي: ليست غاية الإنسان الصراع من أجل البقاء فقط، جميع الحيوانات تصارع من أجل البقاء، غاية الإنسان أن يحقق إنسانيته، أن يجذب الى النور الإلهي المستودع في جوهر ذاته، وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا بالسفر باتجاه الحقيقة وإيقاظ الآخرين عليها، والحقيقة أن الإنسان كائنٌ عاقلٌ حرٌّ مسؤول، الحقيقة أن يعيش الإنسان أفكاره، وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا كان حراً يفكر بصوت مرتفع ويجسد فكره على أرض الواقع. قال الفيلسوف الألماني هيغل: أن حقيقة الحقائق هي المطلق وطبيعة هذا المطلق في أنه يحقق ذاته في التاريخ البشري لا خارجه وفي هذه العملية يتحرك المطلق باتجاه العقل الحرّ ويتجسد به.

سليمان: تطلبين من الإنسان العربي المسكين أن يعيش أفكاره وهو الباطني منذ آلاف السنين، ما يعلنه هو عكس ما يضمّره، وما يقوله هو عكس ما يفعله، السبب في ذلك بسيط إنه الخوف، الإنسان العربي يعيش الخوف الدائم، وخوفه لا يجيء بالدرجة الأولى من المجاعة، ولا من البطالة، ولا من الجهل، إنه يجيء من انعدام الحرية.

حسام: بل أكثر من ذلك، الإنسان العربي لا يعرف الحرية، ولم يعرفها في تاريخه الطويل الممتد حتى طوفان نوح. دائماً وأبداً كانت الحرية في عالمنا العربي على

سكة واحدة هي سكة السلطان، كل خروج عن إرادة السلطان مصير أصحابه الإضطهاد حتى الموت، بالصلب، بالسحل، في بئر الأسود، في جبّ الأفاعي، في دهاليز الإعتقال.

روزانا: هل هذا يعني أنّ العربي يخاف لأنه غير حرّ؟ ولأنه خائف لا يستطيع أن يفجّر طاقاته المخزونة في أعماق كيانه.

ريمون: ولأنه لا يستطيع أن يفجّر طاقاته هو غير مبدع، الإبداع يحتاج الى شجاعة الفرسان ومروءتهم الإبداع لعبة الأحرار المغامرين الذين يقتحمون المجهول دون أن يرمش لهم جفن، الخائف جبان، ولأنه جبان فهو يجتّر الأفكار السابقة بحجة غيرته على التراث، إنه يخفي جنبه وعدم قدرته على المواجهة والتحدي بعلك الصوف، ولهذا ما يعلنه غير ما يضمّره، وما يقوله غير ما يفعله، بل هو لا يفعل شيئاً على الإطلاق، إنه دائماً في موقع الإنفعال وليس في موقع الفعل.

هيفاء: غريباً أمرنا نحن العرب، نتحدث ونكتب عن انتمائنا الى الأرض ونحن نعيش كببدو رحل، نتحدث ونكتب عن الحرية ونحن نعيش في حارات وزقازيق مظلمة متعفنة تقفل أبوابها علينا ليلاً حفاظاً على سلامة جثثنا، نتحدث ونكتب عن المصير الواحد، والهدف الواحد، والعدو الواحد، ونحن مشرذمون إنتهازيون الغني فينا يستبيح الفقير، والقوي يستعبد الضعيف، والكل عبيد السلطان، والسلطان ظل الله على الأرض، يملك العصمة بيده اليمنى، والعسس بيده اليسرى، ولا تجوز محاورته أو مناقشته أو معارضته، فهذا يمزق ثوب وحدة الأمة وعنفوانها، وهو يدخل في خانة العمالة لأعدائها، أو في خانة العمالة لإبليس.

روزانا: ألا ترين المذابح بجميع تمظهراتها الجسدية والثقافية والإقتصادية، ألا ترين الفتن التي تأخذ الناس الى الصراع على السماء كي تبقى مملكة الأرض بيد السلطان وعسسه، ألا ترين الجماهير التي عقلها في أذنيها، والتي يسيرها الفكر الغيبي كيف ترغي وتزبد في الشوارع والساحات لترجم بعضها، وتتلذذ سادياً بتعذيب الآخرين، وتتلذذ ماسوشياً بالتعذب على أيدي الآخرين.

سليمان: نحن شعوبٌ ترضخ للأحادية ولا تؤمن بالتوحد، أحادية الحاكم فهو في طول البلاد وعرضها وحده الرجل الحرّ العاقل والباقون عبيدٌ بلهاء، والباقون مجرد قطعان يخضعون للأوامر والنواهي، عقلهم يتلقى وينفذ ولا يحق لهم أن يفكروا ويحللوا أو يناقشوا ثم يبدعون، الإبداع مهما كان نوعه ومهما كانت ثمرته، هو خروج عن أوامر السلطان ونواهييه وبما أنّ السلطان يمثل إرادة الله على الأرض فهو خروجٌ عن التعاليم الإلهية التي نزلت بشكل أوامر ونواهي، وليس بشكل مقولات عقلانية غايتها الإقناع.

حسام: الإقناع يثمر الطمأنينة، والأوامر والنواهي تثمر الخوف، ولهذا السبب بالذات نحن شعوبٌ نتنفس الخوف وتطحنه تحت أسنانها، ولم تعرف الطمأنينة في تاريخها الحديث والقديم.

صونيا: حتى في أنصع صفحات تاريخنا بياضاً نحن لم نعرف إلا الأحادية، لنأخذ عصر الخليفة العباسي المأمون الذي ترجمت في عصره الفلسفة اليونانية، وقام المعتزلة يرفعون لواء العقل عالياً. إضطهد المأمون خصوم المعتزلة ولم يسمح لهم بالتحاور مع من ينتصر للعقل، بل زجهم في السجون وعذبهم وعلقهم على أعمدة المشانق، ولأنه فعل ذلك وأد تجربة المعتزلة العقلانية وهي حية وهو يظن أنه ينتصر لها، فالأمر لم يخرج عن الخط الأحادي.

روزانا: هل لهذا السبب بقيت القصيدة في شعرنا عامودية تدور معانيها على نفس المحاور، وأكثرنا ما زال حتى اليوم يركع لصنم تلك القصيدة الفراهيدية؟

حسام: هذا صحيح لأن الشعراء كانوا يغنون شهوات الحكام وأمانهم، ويتملقون رغباتهم ومواقفهم، ولم يكونوا يغنون آمال الشعوب وأحلامهم وتوقهم الى الحرية والعدالة والتطور.

هيفاء: كل شيء عندنا أحادي، مسرحنا مسرح البطل الواحد، سياستنا سياسة الزعيم الواحد، قصائدنا قصائد الوزن الواحد، حتى المجانين غدنا يجنون على نمط واحد، والمغنين يغنون على إيقاع واحد.

ريمون: مجتمعنا ليس مجتمع الفريق، نحن لا نملك شراكة المؤسسة، ولا حسّ الإنسان الكائن الإجتماعي.

هيفاء: هذا لأننا ما زلنا نلتجماً وليس مجتمعاً، تجمعاً قانونه التراكم الكمي وليس مجتمعاً قانونه التفاعل العضوي الذي يؤسس تعدداً في قلب الوحدة.

صونيا: جلستنا هذه الليلة مخصصة للتجاوز في مفهوم السعادة فإذا بنا نشرق ونغرب بعيداً عن مربط الفرس.

سليمان: أعتقد أنّ أفراس عقولنا تغبرّ في قلب الميدان وليس على جوانبه، فأبي سعادة يمكن أن ترتجى لشعوب تتنفس الخوف في يقظتها ومنامها، شعوب لم تعرف الحرية لتتذوق طعمها.

روزانا: هذه نظرة سوداوية، أنا شخصياً أفهم الأمور ببساطة وعفوية فأقول: إنّ اللذة هي الباب الذي نلج منه الى السعادة، واللذة جميع الناس تعرفها أو تعرف الكثير عنها، لذة المأكّل والمشرب والجنس، لذة الرقص والغناء والسهر في الأماكن العامة والعلب الليلية، لذة المقامرة في الكازينوهات والسباحة مع شلة من الظرفاء والظريفات في بحر الصيف الملتهب، لذة التنقل من بلد الى بلد ومن قارة الى قارة ومن أصدقاء الى أصدقاء.

ريمون: إذا اعتبرنا جدلاً أنّ اللذة هي الباب الذي نلج منه الى السعادة فعلينا أن نعرّف اللذة كي لا نخلط المفاهيم ببعضها فنضلّ ونضلّل الآخرين.

حسام: كل شيء نتعامل معه عبر حواسنا الخمس ويترك فينا شعوراً بالارتياح والنشوة يمكن اعتباره لذة، فسواء كان هذا التعامل مأكلاً أو مشرباً أو ملامسة أو مجامعة أو مجرد رؤية، ومرجعية اللذة هي الغريزة، ولهذا اللذة شيء مشترك بين الإنسان والحيوان، فالحمار مثلاً يتلذذ بقضم العشب الطري وشرب الماء البارد، أما المجامعة فهو سيد أسيادها وكلكم تعرفون لماذا.

سليمان: لا يمكن المقاربة بين كائن يملك نفساً عاقلة حرة خالدة، تفكر وتحل وتركب وتتخيل وتبدع، وبين كائن لا يملك إلا نفساً دموية تموت بموت الجسد، فلذة

الحيوان التي هي ناتج تعامل الحواس الخمس مع الأشياء وما تتركه من ارتياح ونشوة هي لذة أنية تموت بموت لحظتها الزمنية، أما الانسان فهو قادر على تخزين نشوة ملذاته في أرشيف الخيال واستدعاءها ساعة يشاء، بل يستطيع أن يحلل عناصر ملذاته المخترنة ويركب منها ملذات إبداعية، كذلك يستطيع أن يفعل تلك الملذات المخترنة فيزيد عليها من تصوراته حتى يجعلها شيطانية بامتياز.

حسام: المرأة الأوروبية موقفها من الرجل العربي له وجهان، إما أن تهرب منه منذرة، إما أن تتجذب اليه متشوقة، والسبب في ذلك أنّ الرجل العربي عندما ينظر الى النساء في أوروبا يعريهنّ ويضاجعهنّ بخياله بأفجر ما تكون المضاجعة وأغربها وأشدّها عهراً، والمرأة تشعر بذلك من خلال نظراته، أو من خلال الذنبيات الخارجية من كيانه، عندها إما أن تهرب منذرة غاضبة كارهة، وإما أن تتجذب وهي تنبض شوقاً وشبقاً وهوساً. لقد لاحظت ذلك وخبرته وأنا أمشي الصيف الماضي على الشاطئ في نيس وحولي الكثير من الشبان العرب والنساء الآتيات من اسكندنافيا وألمانيا وهولندا.

روزانا: الأسبوع الفائت قال لنا سليمان أنّ الانسان يملك نفسين وليس نفساً واحدة، النفس العاقلة الخالدة التي تختزن الوعي والحرية والمسؤولية والضمير والبديهيات، وهي نفس تنتقل بموت الجسد الى جسد آخر لتتابع سفرها اللانهائي في بحر الحياة اللانهائي. ونفس حيوانية دموية هي قوة الحياة في البدن تفنى بفنائها، وهي المسؤولة عن عمل الحواس الخمس والجهاز العصبي والهضمي والتناسلي، وهي شراكة بين الانسان والحيوان. وقال أيضاً أنه إذا قويت النفس الحيوانية وضعفت النفس العاقلة، استطاعت النفس الحيوانية أن تستخدم النفس العاقلة لمنافعها وغاياتها فتجعلها وكأنها امتداد لها، ولهذا يمكن للانسان أن يتعامل مع اللذة تملماً كالحيوان، أي بالشعور بالمتعة والنشوة الأنية التي تموت بموت اللحظة الزمنية، أنا شخصياً أظنّ أنّ أكثر الناس عملانياً يعيشون اللذة على هذا الأساس، فهم يأكلون ولا يشبعون، ويشربون ولا يرتوون، ويجامعون وتبقى عيونهم فارغة وفروجهم خاوية نهمة تطلب المزيد.

صونيا: كلام روزانا عن اللذة صحيح إذا ضعفت النفس العاقلة وهيمنت عليها النفس الحيوانية وسخرتها لمنافعها، أما إذا قويت النفس العاقلة على النفس الحيوانية

وسخرتها لغاياتها وأهدافها عندها يصبح للذة مفهوم آخر وأبعاد أخرى، ينقلب الجوع الى الطعام الى جوع للمعرفة، والتعطش الى لماء والخمر تعطشاً للحقيقة والعدالة والفضائل البرهانية، ويغدو الشبق الجنسي رعشات خلق وإبداع في شتى ميادين الفنون والآداب والعلوم.

ريمون: ولما كان من طبيعة المذات النفس الحيوانية أنها تنقلب الى أضدادها إذا تجاوزت حدود إشباعها، ولما كان أكثر البشر الذين يمارسون هذا النوع من المذات لا يقفون عند حدود الإشباع، وجدنا هذه المذات تنقلب الى آلام مبرحة، فنهم الطعام ينقلب الى تخمة وبدانة، ونهم الشراب ينقلب الى توتر عصبي وإتلاف للكبد، ونهم المجامعة ينقلب الى عجز جنسي مبكر.

صونيا: هذا يعني أنّ هناك لذات وهمية وهناك لذات حقيقية، فاللذات التي نتذوقها بحواسنا الخمس وتموت بموت لحظتها الزمنية هي لذات وهمية، واللذات التي نتذوقها بنفسنا العاقلة وترافقنا طوال حياتنا ثم تنتقل خلاصتها مع انتقال نفوسنا الى حيوات أخرى هي لذات حقيقية.

هيفاء: هل لذة المعرفة والعدالة والحقيقة ترافق الانسان من حياة الى أخرى؟

سليمان: عندما تصبح المعرفة كليات مجردة وليس جزئيات محسوسة، تتجوهر بجوهر النفس العاقلة وتغدو جزءاً من ذلك الجوهر، بل دعيني أقول لك أنّ في جوهر النفس العاقلة ومنذ بدء التكوين بديهيات المعرفة والعدالة والحقيقة والجمال والحرية. ولهذا عندما يمارس الانسان تجارب في الحرية أو العدالة أو الحقيقة أو الاحساس الجمالي فهو في الواقع يسافر الى داخل جوهر نفسه ليرى على مراهاها صور بديهيات تلك الأشياء.

ريمون: أنا لا أؤمن بخلود النفس لا وهي منفصلة عن الجسد ولا وهي حالة فيه، ولكني أؤمن بأن لكل مفهوم حدوداً منطقية تحدده، فحدّ اللذة الأول هو الحصول على ما لا يمل، وحدّها الثاني هو التوقف عند تمام الاشباع كي لا تنقلب اللذة الى ضدها، ونحن لو راقبنا مسلكيات أنفسنا والآخرين لوجدنا أنّ قوة انجذابنا الى المذات الحسية كالمأكل والمشرب والجنس سرعان ما يولد ضدها منها فننفر من تلك



الملذات بنفس القوة التي انجذبنا اليها، يكفي أن ينظر الواحد منا الى جسده في المرآة ويراه متوهلاً ومكتنزاً باللحوم والشحوم حتى يشعر بنفور من المأكل والمشرب والجنس، ويسعى جاهداً لممارسة الرياضة الشاقة والصوم المؤلم ليتخلص من ذلك التشوه المرعب.

هيفاء: يأخذني العجب في إيغالكم بالنزعة الفردية وكأنكم نسيتم أو تناسيتم أنّ الانسان أولاً وأخيراً هو كائنٌ إجتماعي بالفطرة، وبالتالي الملذات لها وجهها الاجتماعي وحتى وجهها الكوني. هل يستمتع الانسان وهو يغني أفراده وأحزانه إلا إذا سمع ذلك الغناء بأذان الآخرين ورأى انفعالاته بأعينهم؟

حسام: بدأت بالقول أنّ اللذة هي الباب الذي نلج منه الى السعادة، ثم استرسلتم في الكلام عن اللذة وكأنّ السعادة أصبحت نسيّاً منسياً، أنا شخصياً وبكل بساطة أقول أنّ ما نتذوقه بحواسنا الخمس يدخل في باب اللذة ولذلك له صفة الأنية من جهة والانقلاب الى ضده إذا ما وصل الى حدّ تمامه من جهة أخرى، وأقول أيضاً أنّ لذة الحواس إذا ما بقيت في حدود جزئياتها المحسوسة، واكتفت المخيلة والذاكرة بالتعاطي معها في مجال كونها جزئيات محسوسة، دون أن ترفعها الى العقل المنفعل لينقلها الى حيّز الكليات المجردة، عندها نستطيع أن نحددها بأنها عرض وليست جوهرًا، وبأنها أنية وليست ثابتة، أما إذا تلقفها العقل المنفعل وجعل منها مفهوماً كلياً مجرداً ثم اتخذها نموذجاً يقيس عليه تجارب اللذات الأخرى عندها نقول أنها أصبحت عرضاً ثابتاً والأعراض الثابتة تكاد تكون بمنزلة الجوهر.

صونيا: هل قصدك أن تقول أنّ اللذة قسمان قسم مشترك بين الانسان والحيوان وهو القسم الذي بقي جزئيات محسوسة لها طابع آني وقسم يختص به الانسان وحده وهو القسم الذي ارتفع الى خانة الكليات المجردة وأصبح عرضاً ثابتاً.

سليمان: هناك حواس خمس جسمانية وهناك ثلاث حواس جرمانية وهناك نفس عاقلة. فالحواس الخمس الجسمانية تتذوق فقط اللذات الأنية التي فرزناها في خانة الأعراض، والحواس الجرمانية " الحسّ المشترك، المخيلة، الذاكرة " تتذوق اللذات التي رفعت الى مرتبة الأعراض الثابتة، أما النفس العاقلة فهي تتذوق ملذات الكليات

المجردة والبديهيات المنطقية والحقائق البرهانية والمعارف الالهية، وهي الملذات التي نطلق عليها اسم السعادة.

ريمون: أنا رجلٌ أبيقوري أحب الطيبات في المأكل والمشرب والملبس وممارسة الجنس، ولكني أعرف معرفة يقينية أننا نحن البشر إذا أفرطنا في الاستهلاك، وضغطنا بقسوة على المواد الأولية، في كرتنا الأرضية فسيأتي يوم ليس بالبعيد تنفذ فيه هذه المواد، عندها سيكون البكاء وصريف الأسنان. ولذلك يجب ألا يتبنى أي شخص أو أي شعب مقولة ومن بعدي الطوفان، بل على الجميع أن يكونوا مسؤولين ويفتشوا بصدق وإخلاص عن حلول، والحل الأمثل برأيي هو أن نشجع على ملذات أخرى لا تستهلك موادنا الأولية، وخير هذه الملذات هي لذة المعرفة، فلنتنع جميع الناس أن المعرفة لذة والانفتاح على حضارات الشعوب الأخرى ولغات الشعوب الأخرى لذة، وأن هذه اللذة تمهد لانتزاع الغمام العقد النفسية العدوانية الموجودة في سرائر الشعوب تجاه بعضها، ولما كانت المعرفة لذة عقلية بالدرجة الأولى أعود لأحني رأسي لتفسيرات سليمان ليس لأنني مقتنعٌ بها بل لأن مصلحة البشرية بمختلف شعوبها تتطلب ذلك. ونحن جميعاً مسؤولون عن التمهيد لمستقبل مسكوني زاهر.

روزانا: عشت عمري كله أكره منطق العقل وبراهينه اليقينية، بل إنني أعتبر العقل المنافق الأكبر الذي يخدعنا بالأعيب قياساته واستقراراته واستنتاجاته، دعونا نفهم الأشياء بعفوية وبراعة وشفافية، لا يمكن تصور سعادة بدون لذة، والطبيعة الفطرية فينا هي التي تجعل الملذات متوازنة وسعيدة، ونحن إذا ما ابتعدنا عن طبيعتنا الفطرية فقدنا البوصلة التي تحدد لنا الاتجاه الصحيح. أنا شخصياً أقول نعم للفطرة لا للعقل.

حسام: أنا مفطورٌ على حبّ الجمال أتبعه أينما وجدته، لقد وجدته الآن في ارتعاشات شفتي روزانا وهي تفند آراءها، وكذلك في نبض ثديها تحت قميص الحرير وهي تتحمس لآرائها، إذا كان نهود الثديين فطرة في الجسد الأنثوي وكذلك ارتعاش الشفتين وتألّق العينين فأنا من أنصار الفطرة وعدو لدود للعقل.

هيفاء: السعادة نتيجة وليست سبباً، فلا سعادة حيث لا حرية ولا ديموقراطية ولا عدالة إجتماعية وكونية.

سليمان: كل ذلك مرتبط بنظرة الانسان الى نفسه وبتقييمه لمعنى إنسانيته، فإذا اعتبر الانسان أنّ نوعه وجد بالصدفة وكان من الممكن ألا يوجد، وأنّ المثل العليا والقيم الأخلاقية هي في حقيقتها وليدة سعي الانسان لتحقيق منافعه وإرضاء غرائزه، وسعي المجتمعات لتحقيق قوتها ورفاهيتها ونفوذها، عندها نفهم اللذة والسعادة مفهوماً مختلفاً عما إذا انطلقنا من مقدمة تقول أنّ في الانسان قبساً إلهياً هو العقل، وأنّ ذلك العقل منظر على حقائق بديهية منقوشة على مرآة جوهره، وأنّ غاية ذلك العقل هي السفر باتجاه الحقيقة وإيقاظ الآخرين عليها، وأنه كلما ازداد العقل اقتراباً من الحقيقة كلما ازداد اقتراباً من السعادة، وهذه الحقيقة ليست إلا المعارف الالهية والفضائل البرهانية والكليات المجردة التي من واجب الانسان الانجذاب اليها لتحقيق إنسانيته وبتحقيقه لإنسانيته تتحقق سعاده.

حسام: الاحساس الجمالي هو الذي يجسد السعادة، الكثير من الناس يظنون الاحساس الجمالي نزوعاً أو شبقاً أو مجرد انجذاب أسبابه غامضة، أنا أقول أن الاحساس الجمالي أسباباً موضوعية وإن كنا للوهلة الأولى نزن السبب ذاتياً صرفاً.

روزانا: أنت كمن يخرجنا من الضباب ليدخلنا في العتمة الحالكة، فأنا لم أفهم من أقوالك إلا أنها تلاعب على الكلمات.

حسام: كلنا نعلم أنّ كل الموجودات في هذا الوجود المادي مركبات، والشيء الذي يعطي لأي موجود قيمته الجمالية ويجعلنا نتحسس ذلك الجمال هو التوازن في تركيب ذلك الكيان الموجود، نقول هذه امرأة جميلة إذا كان جسدها متوازناً في تراكيب أعضائه، وهذه الحديقة جميلة إذا كان هناك تناسق وتوازن في توزيع ورودها ومساحاتها الخضراء وأشجارها، ونقول عن القصيدة الشعرية جميلة إذا كان إيقاعها الموسيقي الداخلي والخارجي متوازناً مع معاني كلماتها وإيحاء صورها. التناسق والتوازن يا صديقتنا روزانا هو الذي يعطي للموجود قيمته الجمالية، حتى المجتمعات ننعثها بالمجتمعات الجميلة إذا كانت طبقاتها ومؤسساتها

وسلطاتها متوازنة متناسقة، ومنتدانا الأدبي ننعته بالجمال أو القبح بمقدار قدرة رواده على التناسق والتوازن بأفكارهم وأحاسيسهم أو عدم ذلك.

صونيا: ولكن التوازن هو من صنيعه الطبيعة والعقل، فإذا وصلت قوانين الطبيعة الى حدّ كمالها أنتجت موجودات متوازنة متناسقة، وكذلك العقل إذا وصلت قوانينه الى حدّ كمالها أنتجت أفكاراً وقوانين وفلسفات وقيم متوازنة متناسقة، فهل معنى ذلك أنّ سعادتنا هي في سعينا لبلوغ كمال نوعنا الإنساني سواء بأجسادنا التي هي من نتاج الطبيعة أو بنفوسنا التي هي قبس من نور الله تحت رعاية وإرشاد العقل الكلي.

حسام: المزيد من جمال الشيء هو في المزيد من اقترابه من حدود كماله، وسعادة الشيء القصوى هي في بلوغ كماله وتحقيق الغاية التي وجد من أجلها.

هيفاء: ولكن بقي علينا أن نعرف ما هي حدود كمال الأشياء فما هي حدود كمال الجسد البشري مثلاً كي نقول أنه جسد جميل، وما هي حدود جمال النفس الحيوانية حتى نقول هي نفس جميلة، وما هي حدود جمال النفس العاقلة حتى نقول أنها نفس جميلة وسعيدة.

روزانا: عدتم الى العقل وحدوده المنطقية، وعدتم لتبتعدوا عن البساطة والعفوية، فكأنكم تريدون إسقاط أفكاركم على الأشياء في صيرورتها ولا تريدونها أن تمشي على سجيتها.

سليمان: أما حدود كمال الجسد برأيي المتواضع فهي إزالة الفضلات منه أولاً والتناغم بين جميع خلاياه وأعضائه حتى يؤدي كل منها الغاية التي وجد من أجلها ثانياً، وأما حدود كمال النفس الحيوانية فهي ضبط عمل الحواس والقوى العصبية والهضمية والتناسلية ثم أن تكون النفس الحيوانية منضبطة تحت أوامر النفس العاقلة التي تعطي لانجازاتها معناه الأخلاقي وسموه ونهوده الى مستوى الفضائل البرهانية والمعارف الالهية، أما حدود النفس العاقلة فهو العقل الكلي الذي ينظم شؤون كل موجودات هذا الوجود، والذي تفيض عليه الأنوار الشعشعانية الالهية فينقلها الى النفوس العاقلة، إذا كانت مهياً بلطافة مرآة جوهرها بعد أن تكون قد صقلت تلك المرآة بالأعمال الفاضلة والمعارف اليقينية فغدت تلك المرآة على استعداد كامل

لاستقبال النور الشعشعاني الالهي الفائض عليها من العقل الكلي واختزانه في جوهرها، فتخزنها في جوهرها وهذه هي سعادة السعادات وتحقيق الغاية التي من أجلها وجد الانسان.

صونيا: أفهم من كلامك أنّ العقل الكلي هو السعادة لأن جوهره يحيط بجميع الموجودات ويضبط نظام سيرورتها بقوانينه الجبرية في الموجودات غير العاقلة، وبقوانينه التي تتجوهر بالحرية في الكائن العاقل الانسان.

هيفاء: ولكن هذا الرأي قريب جداً من رأي الصوفيين الذين يعتبرون سعادتهم هي في الانجذاب الى الله والاتحاد به وصولاً الى مرحلة الفناء.

روزانا: هل السعادة هي الانجذاب الى العقل الكلي والاتحاد به وصولاً الى مرحلة الفناء، أم الانجذاب الى الله والاتحاد به وصولاً الى مرحلة الفناء؟

ريمون: الانسان ابن زمانه ومكانه وبيئته الثقافية والاقتصادية والسياسية، ابن حاجاته الفيزيولوجية والنفسية، وما حاجاته النفسية إلا رداً فعل لحاجاته الفيزيولوجية، وبناءً عليه أنا لا أفهم السعادة إلا لذة الكاس والطاس والدفّ والمزمار وصيبة حسناء تتلوى بقدها الخيزراني وأردافها الرجراجة وأندائها الناهدة.

هيفاء: ولو افترضناك يا صديقنا ريمون مثلياً أو عاجزاً فماذا ينفعلك القد الخيزراني والأرداف الرجراجة والأثداء الناهدة، أو لو افترضنا صديقتك الحسناء تلك تختزن في أحشائها جرثومة الإيدز أو السفلس أو السيلان فهل ستكون سعيداً؟

ريمون: ولماذا تفترضين هذه الافتراضات السوداوية وتأخذين الحوار الى هذا المنحى المأساوي؟

روزانا: لأن الوجه الآخر للمجون هو القذارة، وأكثر الماجنين والماجنات ملوثين علموا بذلك أم لم يعلموا، والتلوث يعود ليولد الألم والكثير من الندم والأسف، ومعرفتي بالأشياء تقول لي أنّ أكثر الماجنين والماجناب يظهرون الفرح ويستبطنون الألم، إنهم يكذبون على أنفسهم، ففي اللحظة التي يضحكون بها ويقهقهون يعانون

الشعور بالذنب ثم يعودون ليمارسوا بعض الارتدادات الطقوسية والدينية المتطرفة تحت هذا التأثير.

سليمان: كما كل المياه تجري بالفطرة باتجاه البحر المحيط كذلك كل عقول بني البشر تتجذب بوعياها وبلا وعيها وبفطرتها الى العقل الكلي، لأن الفرع لا يستريح إلا بالوصول الى الأصل، وبما أنّ الله ليس كمثله شيء وهو منزّه عن أن يحيط به زمان أو مكان أو يحيط به عقل أو وهم أو خاطر، وأنّ عجزنا عن الاحاطة بوجوده هو عين إيماننا بوجوده، كان نتيجة ذلك أنّ العقل الكلي هو مرجعية العقول البشرية وأنّ هذه العقول تحتوي على كل خصائص العقل الكلي تماماً كما قطرة من مياه البحر تحتوي على كل خصائص مياه البحر، ولذا كانت سعادتنا هي في الانجذاب الى العقل الكلي والتناغم مع قوانينه الكلية التي تنسحب على الجزئيات بواسطة الجدل الهابط، ونحن نتواصل مع ذلك العقل الكلي بواسطة الجدل الصاعد أي الانتقال من معرفة الجزئيات المحسوسة الى معرفة الكليات المجردة.

حسام: سليمان قال بمبدأ التواصل مع العقل الكلي والصوفيون قالوا بمبدأ الفناء في الذات الالهية وبين التواصل والفناء فرق كبير، ففي الفناء تنعدم الأنا ولا يبقى إلا الهو، وهذا ما عبّر عنه بوضوح كل من البسطامي والحلاج والسهوروي وابن عربي، وانعدام الأنا الانسانية معناه أنّ هذه الأنا هي عرض وليست جوهر، أما في مبدأ التواصل فالنفس الإنسانية جوهر قائم بذاته له وجوده الذاتي غير القابل للفناء والتلاشي وله بصمته الخاصة به، ولذلك هو يتجوهر بقوانين العقل الكلي كما يتجوهر الحديد بالمغناطيس ولكنه يبقى محافظاً على هويته الذاتية.

سليمان: لقد أعطيت الموضوع حقه من جميع جوانبه فالنفوس البشرية جواهر حيّة عاقلة خالدة لكل نفس بصمتها الخاصة بها أولها هويتها الفردانية ولذلك اعتبرت الجريمة الكبرى في هذا الوجود هي محاولة تجريد هذه النفس الإنسانية من هويتها الفردانية، من حرّيتها ومن قدرتها على التفكير بصوب مرتفع، ومن أن تعيش أفكارها غير مجبرة على فعل العكس تحت ضغوطات الترغيب والترهيب، والجريمة الثانية هي أن نخدع النفس الإنسانية ونوهمها بأن سعادتها هي في إرضاء

الشهوات التي تولد أضرارها من داخل أحشائها، والتي لا حدود لماهياتها، فالسعادة هي أولاً وأخيراً بالانجذاب الى العقل والتناغم مع قوانينه وطبيعته.

حسام: ولكن طبيعة العقل باردة ساكنة لها مهابتها ووقارها، تمسك بيدها اليمنى صولجان المنطق وباليد اليسرى الفضائل البرهانية، ولا تترك أي هامش للأحاسيس التي تناور بين تخوم الخير والشرّ والحقائق والمنافع والمحسوس والمطلق، طبيعة العقل تكرم الشعراء وتتوجهم بأكاليل الغار مكافأة لابداعهم ولكنها تعود لتطردهم خارج منطقة نفوذها مخافة أن يختلط النور بالظلمة والحق بالشهوة والعدل بالأثرة،

أنا شخصياً أحترم العقل وأجله ولكني أنفر من وقاره البارد الذي يستعلي على مشاعري ويستهزيء بشهواتي، إنها مأساتي التي أدور في حلقاتها المفرغة، إنني أحترم العقل ولا أحبه وأحب شهواتي ولا أحترمها.

روزانا: كيف يقول سليمان في كثير من المناسبات أنّ العقل والحرية وجهان لحقيقة واحدة، ثم يعود حسام ليقول أنّ طبيعة العقل باردة ساكنة لها مهابتها ووقارها، فبناءً على رأي حسام لا يمكن تخيل العقل إلا ذلك الديكتاتور القاسي الذي لا يتسامح مع الخاطئين فهو حديدي الوجه واليد واللسان، لا يعرف رحمة أو شفقة، وأنا بدوري أعتقد أنّ الحرية ليست إلا الثورة على القسوة التي لا تسامح، وأصحاب الوجوه الحديدية التي لا تشارك الضعفاء إحباطاتهم، ولا المساكين خيبتهم، بصراحة أنا كما حسام أحبّ المنطق ولكني أكره صرامته، وأحبّ الحقيقة ولكني أكره يقينية براهينها، نحن بنو البشر خلقنا من وجع رحم الأرض ولهاث ترابها البائس، نحتاج الى من يرحم بؤسنا ويغني مأسينا ويغسل عار ضعفنا، بل بحاجة الى من يلغي كلمة عار من قاموسنا ويفيض قلبه بالحبّ والغفران لمن يستحق ولمن لا يستحق.

سليمان: حركة العقل حركة منتظمة لأنها وصلت الى حدود كمالها، ولذا تبدو للجهلاء سكوناً، وحرارة العقل حرارة تضيء ولا تحرق ولذا تبدو للجهلاء برودة، وبين حركة الشهوات الصاخبة وحرارتها المحرقة وحركة العقل المنتظمة وحرارته المضيفة يكمن الفرق، سئل أهل جهنم عن الأعراف فقالوا الأعراف هي الجنة،

وسئـل أهل الجنة عن الأعراف فقالوا الأعراف هي جهنم، ولذلك من له عينان فليبصر ومن له أذنان فليسمع.

صونيا: أنا مقتنعة بمنطق سليمان ولكني متعاطفة مع تهويمات حسام فما يحق للشعراء لا يحق لغيرهم.

هيفاء: لولا الشعر لكانت الألوان أبيض وأسود، بالشعر نتذوق جمال الجسد الأبيض المشرب بقليل من الحمرة أو السمرة وبالشعر نتذوق ألق العينين حيناً وشررها الحارق أحياناً، وبالشعر نتذوق توق النفس الى الحرية والعدالة وتمردها على كل نهج يريد تقزيمها وتصنيها، وبالشعر نرفع اللذات الآنية الى مستوى اللذات الخالدة، وننزل اللذات الخالدة الى أرض اللذات الآنية، بالشعر نمزج بين انسان الصلصال الفارغ وإنسان القبس من النور الشعشعاني، إنه كوكتيل طيب المذاق، أنا شخصياً لا غنى لي عنه، ولذا أعود الى رأي سليمان ممزوجاً برأي حسام فالسعادة إحساس جمالي نتذوقه بعقولنا وجميع حواسنا الجرمانية منها والجسمانية.

الجميع: السعادة إحساس جمالي نتذوقه بعقولنا وجميع حواسنا.